

الأدب الفلسطيني المعاصر ومفارقة العودة بعد "أوسلو" Contemporary Palestinian Literature and the Paradox of Return after "Oslo"

*- أ.د. عمر عتيق

*- جامعة القدس المفتوحة ، جنين، فلسطين.

*omar.ateeq@yahoo.com

تاريخ القبول: 2023-05-03

تاريخ الإرسال: 2023-01-11

*- الملخص:

ترصد هذه الدراسة تجليات إتفاقية "أوسلو" في نماذج من الأدب الفلسطيني الذي صوّر نتائجها ومفارقاتها على المشهد السياسي والاجتماعي، حيث تتوزع على ثلاثة محاور ؛ الأول: مفارقة العودة في نصوص الشعراء والأدباء الذين سُمح لهم بالعودة إلى فلسطين ، وبخاصة الشعور بالخيبة والانكسار في قصائد محمود درويش وأحمد دحبور اللذين عادا إلى الوطن ولم يجدوا وطنًا ! والثاني: موقف الشعراء والكتاب من نتائج إتفاقية " أوسلو " ، إذ اتسمت صورة "أوسلو" في الشعر الفلسطيني والعربي بالرفض والاستنكار والسوداوية والسخرية والثالث: معاناة النقاد للإصدارات الأدبية التي صدرت بعد "أوسلو" ورصد التحولات السلبية دلاليا ونفسيا في الشعر والرواية .

الكلمات المفتاحية: أوسلو ، العودة ، الفلسطيني ، الشعر ، الرواية.

Abstract:

This study monitors the manifestations of the Oslo Accords in examples of Palestinian literature that showed its consequences and paradoxes on the political and social scenes. The study is divided into three axes: The first is: the paradox of return in the texts of poets and writers who were allowed to return to Palestine, especially the feeling of disappointment and brokenness in the poems of Mahmoud Darwish and Ahmed Dahbour, who returned to the homeland and did not find a homeland! The second: the position of poets and writers on the results of the "Oslo" accords, as the image of "Oslo" in Palestinian and Arab poetry was characterized by rejection, denunciation, melancholy, and sarcasm. Third: Critics examine literary publications issued after "Oslo" and monitor negative transformations, semantically and psychologically, in poetry, and novels.

Keywords: Oslo, return, Palestinian, poetry, novel.

*- مدخل:

إنّ من أخطر النتائج الثقافية لاتفاقية " أوسلو " هي تحويل الهزيمة إلى انتصار. وتوجيه وسائل الإعلام للاهتمام بأحداث ونشاطات ترتدي قناع الوطن لتكون بديلا عن ثقافة المقاومة، وتصوير عودة بعض الفلسطينيين إلى (الجزء المتاح) من الوطن على أنها العودة المنشودة. إن خطر هذا التلوث الثقافي يُنذر بنشوء خطاب ثقافي مشوه يؤمن به جيل يتعرض لضغط إعلامي يحترف التزوير والتحوير والتغريب. ويشير إدوارد سعيد إلى هذا المشهد المأساوي بقوله: "إنها لمأساة بحق أن جهلنا بالتاريخ وبالقوة الاستعمارية يبدو انه علّم مهندسي أوسلو الفلسطينيين أن الاستسلام الخانع المتذلّل، مصحوبا بصرخات النصر الكاذبة قد يحققان النتيجة ذاتها التي تحققها حملة حقيقية من الاستهزاء والاستنفار والمقاومة، بلى إنها لمأساة وإهدار وضياح. بيد أن أجيالا من الفلسطينيين قد تستيقظ وتعي هذا الواقع"⁽¹⁾.

أصبح اسم أوسلو في معظم الأدبيات السياسية رديفًا لتزييف التاريخ وسرقة الحقوق والانتهازية والنفاق، كما أن تعبير «ثقافة أوسلو»، أو «مثقّف أوسلوي» أصبح أقرب إلى الشتائم لدى كثير من المثقفين⁽²⁾، ومع التقدم في مسارب أوسلو التي أفضت إلى واقع معاش على بعض أرض فلسطين، نرى الأدباء والشعراء يعيشون ضبابية المرحلة، فتتعدد رؤاهم حسب مشاربهم، وتنوع تجاربهم، كما نرى غالبيتهم حائرين في رؤاهم ومشاعرهم⁽³⁾.

يرفض الفلسطينيون في غالبيتهم اتفاقية "أوسلو"، ولكنهم يعيشون في كنفها ويخشون انهيارها، وأوساط منهم تدفع بسياساتها عمليًا باتجاه تجديده أو تطويره أو حتى استمراره. وتطلق عبارة (لا يوجد بديل")، في وجه كل من ينادي بالبديل، لذا نجد أن معظم معارضي "أوسلو" معارضتهم له لفظيّة، وينتهون بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى تأييد استمراره، "لأنّ ليس بالإمكان أبدع مما كان"، ولأنّ البديل المطلوب كما يروجون هو حل السلطة والعودة إلى الكفاح بكل أشكاله، وهذا غير متاح، إن لم يكن مستحيلًا، الأمر الذي يمدّ في عُمر "أوسلو"⁽⁴⁾ كما أنّ الخطاب الفكري الذي ساد بعد اتفاق أوسلو العام (1993)، وبصورة عامة، كان ناقداً للذات أكثر من كونه موجهاً للآخر، إذ إن هذا الاتفاق وما سبقه

وما لحقه يعد هزيمة⁽⁵⁾ ! . وقد تجسدت صورة أوسلو ومفارقة العودة بأشكال مختلفة في كتابات عدد من الشعراء والأدباء الفلسطينيين.

1/ مفارقة العودة (العودة الناقصة) في الأدب الفلسطيني المعاصر:

1/1 محمود درويش : مفهوم العودة والوطن

قدم الشاعر محمود درويش استقالته من المجلس الوطني الفلسطيني، وشرح بعد ذلك أسباب استقالته بقوله: "إن هذا الاتفاق ليس عادلاً؛ لأنه لا يوفر الحد الأدنى من إحساس الفلسطيني بامتلاك هويته الفلسطينية، ولا جغرافية هذه الهوية إنما يجعل الشعب الفلسطيني مطروحاً أمام مرحلة تجريب انتقالي.. وقد أسفر الواقع والتجريب بعد ثلاث سنوات عن شيء أكثر مأساوية وأكثر سخرية، وهو أن نص أوسلو أفضل من الواقع الذي أنتجه هذا النص"⁽⁶⁾.

وحرص محمود درويش على تحديد بعد وجداني وآخر جغرافي للوطن ، فالبعد الوجداني هو مسقط الرأس والبعد الجغرافي هو الوطن كله؛ لذا فإن وجوده في رام الله بعيداً عن (وطنه الوجداني) مسقط رأسه (البروة) لا يراه عودة تلي الاستحقاقات النفسية والوجدانية ، يقول درويش معللاً وموضحاً : لا يستطيع أن أقبل مصطلح العودة دون تحفظات.

أعتقد أننا لم نعد، العائد هو الذي يعود إلى مكان خرج منه .صحيح أن الوطن وطن وكيونة الجميع، ولكن توجد أوطان شخصية أيضاً، بمعنى أن هذا الجزء من الوطن ليس وطني الشخصي .هذا وطن شعبي، ويسعدني أن أكون فيه، وبما أنه لم يكن وطني الشخصي لا توجد لدى ذكريات هنا. لذا، أعتبر إلى حد ما أنني موجود في غربة ما في جزء من الوطن. وطني الحقيقي هو حيث وُلدت، ونشأت، وتكوّنت الذاكرة. ظروف عودتنا -إذا جازت هذه التسمية- محاطة بأسلاك شائكة كثيرة، لم تتح لنا فرصة الاحتفال بهذا الفرح، دخلنا في حالة حصار، وفي حرب جديدة. وحتى الذين اعترضوا على أوسلو، من أمثالي، وكانت لديهم تحفظات، كانت قلوبهم تصغي إلى وعد ما: ربما ينتج شيء عن هذا المشروع. وهذا ما جاء بي،

ولكن خيبة الأمل كانت كبيرة للأسف. ولخيبة الأمل عدة مستويات: كل طرف فهم أوصلو بطريقة مختلفة. فهم الإسرائيليون أوصلو كمشروع أمني يحول السلطة الفلسطينية إلى تابعة لإسرائيل. والفلسطينيون فهموا أن أوصلو يعد بدولة مستقلة، وينجز محطة في التحرير⁽⁷⁾.

وقد وضّح درويش الفرق بين التعالق الوجداني بينه وبين مسقط رأسه وعلاقته بمدينة رام الله التي أقام فيها فترة زمنية بقوله: لم أتعرف على رام الله إلا منذ عشرة أعوام تقريباً. ليس لي ماض هنا ولا ذكريات. أنا أعيش هنا كمزيج من مواطن، لاجئ ومشرّد. وعلاقتي اليوم بالمكان خفيفة وهشة. كل الأماكن تتساوى اليوم. ويسهب درويش في الحديث عن ذكرياته في مسقط رأسه (البروة) في الجليل الفلسطيني في رده على سؤال في إحدى المقابلات: هل تخطط لزيارة مسقط رأسك؟ لا، لقد غدت القرية مستوطنة يسعور. وأنا أفضل أن أختزن الذكريات التي تبقت لي، من الفضاءات الواسعة، الحقول ومقايي البطيخ، وأشجار الزيتون واللوز. وأنا أتذكر الحصان المربوط بشجرة التوت في الباحة وكيف ركبته فألقى بي أرضاً وتلقيت الصفعات من أمي...

أتذكر الفراشات والشعور الواضح بأن كل شيء مفتوح. فالقرية كانت على تلة وكل ما يحيط بها كان مفروشاً دونها. وذات يوم أيقظوني وقالوا لي إنه يجب الفرار. لم يقولوا حرباً ولا خطراً. سرنا مشياً على الأقدام، أنا وأخوتي الثلاثة، حتى وصلنا إلى لبنان، وكان الصغير رضيعاً لم يكف عن البكاء طول الطريق⁽⁸⁾.

محمود درويش «الذي عاد و لم يعد» لم تصنع «عودته» تحوُّلاً في نصه الشعري على مستوى العلاقة مع الوطن. فالوطن الشخصي هو البيت، الأمكنة، الروائح والذكريات الأولى، وليس العلم المرفرف فوق «المقاطعة». بيت درويش وخطوته و ذكرياته وقصائده الأولى ليست في رام الله سواء أكانت محتلة أم كانت محرّرة، بل في الجليل، وذلك مكان لم يعد إليه إلا زائراً بتصريح من إسرائيل⁽⁹⁾.

1/2 أحمد دحبور: حلم العودة.... وانكسار الحلم

تفتحت براعم حلم العودة في مخيلة الشاعر أحمد دحبور ووجدانه على نسائم حكايات أمه عن " حيفا " التي كان يتخيلها جنة ، ومن لا يصدق فليسأل أمي ... أما المطر في حيفا فهو غزير جداً ، ولكنه لا يبلل الناس ، إنه يسقط على الزرع فقط ، ولهذا فإن حيفا دائماً خضراء . وكان جبل الكرمل في حيفا يمشي في حكايات أمه ⁽¹⁰⁾ .
وتتحول الذكريات إلى نبض حلم في إيقاع قصيدة ، بقوله : (11)

أذكرُ، أنَّ الجبلَ العظيمَ كان يمشي

والمطرُ الذي يروِّي القمحَ لا يبللُ الأطفال

ويتحول حلم العودة إلى حقيقة أو إلى (ساعات من الحقيقة) حينما سمحت سلطات الاحتلال للشاعر بالخروج من غزة لزيارة حيفا مروراً بالناصرة التي استضافته يوماً وليلة قبيل وصوله إلى " حيفا " .. الحلم الذي تفتحت براعمه في طفولته ، وأزهر في شبابه ، وأثمر " حنظل انتظار " لشروق شمس صباح يرى فيه " حيفا " .

ويصف الشاعر تلك الليلة التي قضاها في الناصرة بقوله : ولكن من الذي سينام؟ كنت أقف في منتصف الليل وأتخيل هذه (الحيفا) التي لا أعرفها إلا من خلال حكايات أمي. ومنذ ساعات الصباح الأولى كان شلحت (الكاتب أنطوان شلحت صديق الشاعر ومرافقه) يقلني في سيارته إلى حيفاي، وكان دليلاً عظيماً، فلا نصل إلى مرتفع أو منخفض أو علامة إلا ويشير إليّ بأسماء الأماكن وما تعنيه في الذاكرة، وفجأة قال لي : حدّق أمامك، أنت أمام جبل الكرمل. من الصعب أن أصف مشاعري في تلك اللحظة، كنت أشعر بأننا نتبادل المسير أنا والجبل، هل أنا الذي أذهب إليه أم أنه هو الذي يأتي نحوي؟ ومضت السيارة بنا قدماً، فقال لي أنطوان: انظر من النافذة. وإذا بي أمام يافطة كتب عليها بالعربية: وادي النسناس. وأنا أعرف من أهلي أنني ولدت في وادي النسناس، وتحديدًا في شارع الحريري. ساعتها جمعت، وأصبحت كلي عيوناً، والفاعلية الوحيدة التي امتلكتها آنذاك هي أنني أرى ولا أصدق نفسي ⁽¹²⁾.

يصل الشاعر بيته في "وادي النسناس" ، ويسجل لحظة الوصول بحوار مع صديق مرافق : قال لي أحمد الميعاري، (وهو شخصية وطنية معروفة):انظر هذا بيتك. قلت مدهوشاً: بيتي؟! فقال لي أكثر من صوت: ألم تكن قد كتبت في الصحافة أن بيتك لصيق بالفرن في وادي النسناس؟ قلت نعم. فقالوا لي: هنا الفرن، إذاً هذا بيتك .

ويتذكر الشاعر شجرات " الكينا " التي سمع عنها في حكايات الأهل عن البيت في حيفا ، ويتمتم الشاعر مذهولاً: وهل شجرات الكينا لا تزال موجودة؟ فقال لي حنا (صديق الشاعر المرافق) متأففاً وبنوع من السعادة: وأين تريد لشجرات الكينا أن تكون؟ إنها في داخل البيت.ويقف الشاعر مصعوقاً أمام بيت أهله، الذي لا تزال تحرسه شجرات الكينا ،هامساً : ترى أين يكون بيت جارنا أبو جورج الذي كان أبي يحدثنا كثيراً عنه، فقال لي حنا: انظر خلفك، هذه دكان أبو جورج. وعندها فعلت ما يجب، سقطت على الأرض أعانق التراب وأجهش بالبكاء.⁽¹³⁾

ويسجل الشاعر اللحظات المثيرة حينما عانقت عيناه بيته في حيفا :⁽¹⁴⁾

لو كنت أعرف باب داري

لو كان تحت يدي جداري لو أن رائحة تغرد في قميصي

لاستجاب لطير قلبي ألف يعقوب من الكينا

ولا انفتحت من الشجر العيون

لو كان لي ما كان لي

عقود من الزمن وهو يحلم بالعودة إلى " حيفا " ..و حينما عاد إليها (سحابة نهار) "لسعته " عقارب الساعة التي أشارت إلى السابعة مساء ، وهو الموعد النهائي المسموح له بالبقاء في حيفا ، فقال متحسراً:⁽¹⁵⁾

كل حيّ وله حيفاه

إلا أنت دون حيفا

ويصف أحمد دحبور انكسار حلم العودة بقوله: مساء ذلك اليوم، وكما يقول الفلسطينيون «راحت السكره وأجت الفكرة»، فرحت برؤية البيت، ورؤية الفلسطينيين فيه، ولكن انطبق عقربا الساعة على السابعة، وصار يجب أن أعود من حيث أتيت، فهل يدري من كان معي أن قطعة من قلبي كانت هناك، لقد كتبت قصيدة في هذا وأذكر منها⁽¹⁶⁾:

«حسرتها عليّ أم يا حسرتي عليها

حسرتها عليّ أم يا حسرتي عليها؟⁽¹⁷⁾

وصلتها ولم أعد إليها

وصلتها ولم أعد إليها

وصلتها ولم أعد ...

أصدر الشاعر أحمد دحبور بعد مغادرته تونس ديوان (هنا .. وهناك 1997) . ويعقب الشاعر على الديوان بقوله : كانت قصائد تلك المجموعة موزعة جغرافياً بين تونس والجزء المتاح لنا في فلسطين، فعندما كنت في تونس كنت من وجهة نظر الجغرافيا (هنا) وكانت فلسطين البعيدة (هناك) ، ولكنني عندما وصلت إلى غزة أصبح الجزء المتاح لي من فلسطين (هنا) والبلاد العربية التي عشت فيها أصبحت (هناك) ⁽¹⁸⁾ وفي حوار مع الشاعر يصف ديوانه (جيل الذبيحة 1999) بقوله : عندما أتيح لي أن أرى جزءاً من وطني لم يكن ذلك عزاءً بقدر ما كان مفجراً لشعور طاغ بالخيبة، وانفتحت أسئلتي على جيل الذبيحة، جيلي الذي رأى النور بعد الحرب العالمية الثانية وشهد الهزائم العربية المتوالية، فكان أمامي أن أحاكم هذه التجربة وأحتكم إليها ⁽¹⁹⁾ ويعد لفظ (الذبيحة) في عنوان الديوان علامة سيميائية تختزل الخيبة والانكسار والهزيمة في الفضاء السياسي لاتفاقية أوسلو.

يبدو أن عودة يوسف عليه السلام إلى أبيه تشكل مفصلاً فكرياً ووجدانياً في وعي الشاعر ، إذ يوظفها لتصوير "عودته" إلى حيفا... تلك الزيارة التي لم تستمر سوى سحابة نهار

، وذلك في قوله : (لو كنت أعرف باب داري \ لو كان تحت يدي جداري لو أن رائحة تغرد في قميصي \ لاستجاب لطير قلبي ألف يعقوب من الكينا \ ولا انفتحت من الشجر العيون \ لو كان لي ما كان لي) (20) فالرائحة التي تغرد في قميصه هي رائحة قميص يوسف ، ويعقوب هو أبو يوسف عليه السلام ... أما شجر الكينا فهو الشجر الذي علق بذاكرة الشاعر من حكايات الأم عن بيتهم في حيفا ، حيث كانت مخيلة الشاعر تحفظ أن شجرة الكينا علامة فارقة يمكن أن يهتدي بوساطتها إلى بيته في حيفا .

3/1 مفارقة العودة والرمز الشعري عند الشاعر مسلم محاميد:

أفضت (فجيعة) أوصلو التي لم تُحقق العودة المنشودة إلى الوطن إلى استلهاهم بعض الشعراء للرموز الدينية والتاريخية للتعبير عن (خيبتهم) من نتائج أوصلو من جهة ، وللتأكيد على التمسك بحق العودة . ومن الرموز التي امتصها الشعراء سفينة نوح ، نحو مقاربة الشاعر مسلم محاميد بين "سفينة نوح" وسفينة العودة في ديوانه (نشيد .. وآخر) الذي صدر بعد خمسة عشر عاما من اتفاقية أوصلو وبخاصة في قصيدة (نكبة وحمامة ووتر) (21)، فالسفينة في قصة الطوفان رست بأمن وسلام في المكان الذي حددته السماء بعد طوفان مدمر ، ونجا مَنْ فيها ... فإن سفينة الشاعر ما زالت تصارع الطوفان .. طوفان بعد طوفان ، ونكبة بعد نكبة ، وما زلنا ننتظر سفينة العودة لترسو على (جبل الجودي) أو على جبل الجليل ، يقول الشاعر رابطا بين سفينة نوح وسفينة العودة ، وبين الطوفان والنكبة :

ستونَ عاما / والوترُ/ أمسى سفينة عودةٍ / للفرحة الأولى / ما قبل أول نكبةٍ/ ما قبل آخر نكبة/ ما قبل آخر دمةٍ/ في النكبة الستين /

وتبلغ الدفقات الوجدانية ذروتها في نهاية القصيدة حينما يستدعي الشاعر شخصية نوح عليه السلام ، وهو استدعاء "لقوة خارقة" تعيد سفينة العودة إلى مرفئها ، والحمامة إلى غصن الزيتون . إن شخصية نوح تجسد فضاء نفسيا مثقلا باللهفة للعودة ، فهو الملاذ الأخير لحلم طال انتظاره ، لذلك جاء أسلوب النداء (يا نوح) صرخة واستغاثة ورجاء في قوله :

يا نوحُ / ذلك مرفأُ / يا نوح/ تلك سفينةُ/ يا نوحُ/ هذي في الفضاء حمامةُ/ والعودُ آتٍ /
والشراعُ

وحينما تفتّر حرارة " نداء نوح " ، وتتحول غيبوبة " الحلم " إلى صحوة " واقع " يُبصر
الشاعر ما لا يرغب برؤيته .. يرى الحمامة ما زالت تبحث عن غصن الزيتون ، والسفينة ما
زالتمخر عباب مياه بعيدة عن موانئ الوطن ، كما يبدو في قوله :

لكأثما/ تلك اليمامةُ/ لم تزلْ/ تصبو إلى/ الريح التي/ ستزيل قيدَ شراعها/ تلك اليمامةُ/
لم تزلْ/ تصبو إلى الزيتون/ في وطن غدتْ/ تستلّ فيه حمامة/ غصنا لقلبك يانعاُ/ حتّى
تُحرّكْ/ في المياه سفينة/ نحو الوطن.

4/1 العودة والخيبة في روايات يحيى يخلف وغسان كنفاني :

ومن الروائيين الفلسطينيين الذين عادوا بعد أوصلو إلى (الجزء المتاح من الوطن)
الكاتب يحيى يخلف الذي نشر رواية (نهريستحم في بحيرة) بعد زيارته (الخاطفة) لمسقط
رأسه (سمخ) بالقرب من طبرية . يصف يحيى يخلف خيبة العودة إلى مسقط رأسه في
روايته بقوله : ((أهذه سمخ ؟ ها أنت بعد ستة وأربعين عاما تعود إليها سائحا متفرجا ، زائرا
وسط الهواجس والريبة والخوف ، حملت في أعماقك صورتها ، ذاكرتها ..هنا صارت مدينة
يهودية جديدة فوق ترابها على أنقاض بيوتها، سمخ تم ترويضها وتهويدها) (22) .

وقد حذر الأديب غسان كنفاني في روايته (عائد إلى حيفا) من هذه العودة المؤقتة،
وغير الفاعلة، ورأى فيها قهراً يضاف إلى قهر الفلسطيني، وغربة تضاف إلى غربته. وكيف
يمكن لشعور الغربة أن يزايل الفلسطيني، وهو يقف على بوابات العبور نحو بلده كما يقف
المتسوّلون؟ (23)

2/ موقف الشعراء من نتائج إتفاقية " أوصلو

يسخر الشاعر يوسف الخطيب من اتفاقية " أوصلو " ويتخذ في سياق السخرية من
بحر غزة مقابلا ثوريا لمواجهة " بحر أوصلو " في قوله : (24)

معاً، أيها الصُحبُ، فلنقرأ «الفاثحة»..

لِعَزَّةَ بَحْرِيْفُورُ.. سوى بحرٍ «أوسلو»..

«أَعَذَّبُ فُرَاتُ.. وَمِلْحُ أَجَاجٍ»؟!..

وبينهما بَرْزُخُ المستحيلِ !؟

هنيئاً «جُحا» لكَّ صفقةَ أوْهَامِكَ الرَّابِحةِ!!..

وفي تقديمه لقصيدة (إعلان براءة من هلافيت أوسلو) يقول يوسف الخطيب :
(وضعتها في أعقاب "لعنة أوسلو" التاريخية الذميمة التي لا أتردد لحظة واحدة في التأكيد
على أنها جاءت بمنزلة التتويج الصهيوني الختامي لنكية فلسطين عام 1948، ولكارثتها
العظمى عام 1967 "!!)⁽²⁵⁾

ويستهل القصيدة بنبرة خطابية مشبعة بأساليب إنشائية تختزل دلالات الأسى واللوم
،وتجسد هجاء سياسيا مرًا في قوله :

أَيْنَ اخْتَفَتْ يَافَا ، وَبَيْسَانُ ، وَأَيْنَ الكَرْمَلُ

وَالطَّلَقَةُ الْأُولَى ، وَفَتْحُ ، وَالخَطَابُ الْأَوَّلُ

وَمَنْ قَضَوْا ، بِاسْمِ فِلَسْطِينَ ، وَمَنْ تَجَنَّدُوا

أَمْ قَدْ تَبَدَّلَتْ رِيَاكُم ؟..إِذَنْ ، تَبَدَّلُوا!!

خُذُوا حَصَادَ غُيْرِكُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ، وَارْحَلُوا!!

....

لَا أَلْعَنُ "التَّرْوِيجَ" ، بَلْ أَلْعَنُ آبَاءَكُمْ

يَا أَيُّهَا الْقَتْلَى ، مَعاً ، وَالْقَتْلَةَ

فَلَنْ تَمُوتَ شُعْلَةً مِنْ كَيْدِي لَفُوحِهَا

لَأَنْتِي الْقَدْسُ الَّتِي يَسْكُنُنِي مَسِيحُهَا

لَأَنْتِي شَرِيدُهَا ، شَهِيدُهَا ، جَرِيحُهَا

فَهَذِهِ الصَّيْحَةُ فِي وُجُوهِكُمْ أَصْبَحُهَا

بَرِينَةُ مِنْكُمْ فِلَسْطِينُ ، فَمَنْ تَخْدَعُونُ؟⁽²⁶⁾

ويصور محمود درويش وطأة الموقف وهو يستمع إلى الخطابات في حديقة البيت الأبيض في احتفال توقيع إتفاقية أوسلو بقوله : "تسمرت أمام التلفزيون، واتخذت هيئة المحاييد في حضرة الحيرة التي أقامت حاجزا بين العقل القلب. العقل يقول: إنها مسرحية فاشلة باطلة. والقلب يسأل: كيف أنجو من سحر الإخراج؟ العشب أخضر، والمناخ ملائم للعيد، وسيد العالم جذاب: يقترب العدوان اللودان ويتصافحان ، أحدهما على مضض ، والثاني بثقة مرحة والجمهور المنتقى بعناية باذخة يصفق لانعطافة التاريخ في حديقة البيت الأبيض لكن اللغة التي تسمعها تعيد قلبك إلى صوابه: لا، ليست هذه لغتي. فأين بلاغة الضحية التي تسترجع ذاكرة عذابها الطويل، أمام شقاء اللحظة التي ينظر فيها العدو في عين العدو ويشدّ على يده بالراح؟ أين أصوات القتلى السابقين والجدد الذين يطالبون باعتذار لا من القاتل فحسب، بل من التاريخ؟

أين حيرة المعنى في لقاء الضدّ بالضدّ؟ وأين الصرخة المألزمة لعملية جراحية يُبَنَّرُ فيها الماضي عن الحاضر في مغامرة السير إلى غد ملتبس... وأين لغتي؟"⁽²⁷⁾

و توظيف محمود درويش رمز امرئ القيس يرى فيه بعض قارئ قصيدة "خلاف، غير لغوي، مع امرئ القيس" معادلاً للراحل ياسر عرفات.⁽²⁸⁾ في قوله :
لم يقل أحد لامرئ القيس: ماذا صنعت

بنا وبنفسك؟، فاذهب على درب

قيصر' خلف دخان يطل من

الوقت أسود. واذهب على درب

قيصر، وحدك، وحدك، وحدك.⁽²⁹⁾

ويكشف الشاعر عبد الكريم العسولي حقيقة أوسلو ، فلم تتحقق الجنة الموعودة وما حمل أوسلو إلا القتل والخراب ، فكل ما سمعه الشعب كان حلمًا. في قوله :⁽³⁰⁾

قالوا وقالوا

كل ما قالوه أطياف سراب

لا الدمع فارقنا

ولا جمر العذاب

كلُّ الحمايم هاجرت

واستوطنت يوم الخراب

وإذا سألناهم خبر

كان الجواب بلا جواب

كل ما قالوه أضغاث حلم

كذبة كبرى سمعناها نغم

لم نقل كيف

ولم نسأل بكم

والتهمناها كقطعان الغنم

فلم التمسك بالعهد وبالذمم؟⁽³¹⁾

ويرى الشاعر خضر جججوح أن أوصلو خيانة كبرى شهدت بيع الدم بالدراهم ،

واسكأتا للبندقية خوفاً وجبنًا ، ويبين أن المفاوضين خلقوا شرخاً في صفوف شعبنا ما بين

المقاومة والتفاوض العقيم ، ويبعث رسالة إلى هؤلاء المفاوضين⁽³²⁾ بقوله :

من مبلغ عني المفاوض والمقامر والتنازل؟!

أن الرصاص هو الخلاص ولا خلاص مع التخاذل

عودوا إذن .. من قبل طوفان التحدي للفصائل

لا صلح يا ثواريا قواد مع عفن المزابل!!

إن اليهود هم اليهود ... ولا سلام مع المختال

عار على الثوار " .. أن باعوا الكرامة بالشواقل "

عار على الثوار " .. أن يلحقوا السلاح مع الفضائل "

ويواصلون تذلل الكلب العقور إلى المحافل⁽³³⁾

هذا ويصف عزالدين المناصرة ثقافة أوسلو" بأنها "ثقافة حاراتٍ محلية"، ومشكلتها هي "تقليد الخارج"، واللهاث وراء فكرة الليبرالية الأمريكية، والعوملة التي تفتت الهويات، لكن الأخطر هو الاختراق الإسرائيلي الفكري للأدب والفن الفلسطيني، والدخول في أوهام الحداثة، والابتعاد عن الهوية⁽³⁴⁾ ويتحدث الشاعر غسان زقطان عن تفكك صورة البطل وجلوس " البطل " في الصالة كأى فرد من العائلة في تقديمه لأنطولوجيا «القصيدة الفلسطينية الراهنة» الصادرة بالعربية والفرنسية في بلجيكا عام 2008 التي ضمت مختارات من الشعر الفلسطيني الجديد، وكذلك تفككت الأفكار والمقولات والمفردات والشعارات التي صنعت الصورة.⁽³⁵⁾

وينفي الشاعر طلعت سقيرق في حوار مع مؤسسة القدس للثقافة والتراث وجود شيء اسمه سلام ، لأن السلام يقوم بين طرفين والطرف الثاني هنا هو احتلال . ويضيف : أنا أنفي الاحتلال لأنني أريد فلسطين من الشمال إلى الجنوب ، وهذا الموجود على أرضي استيطان غريب وسرطان نريد التخلص منه أنا أعبر عن ضمير الشعب وللسياسي ما أراد ، فموقفنا مخالف تماماً لأي موقف يناادي بالتسوية.⁽³⁶⁾

كما يرد الشاعر مراد السوداني (رئيس اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين) على سؤال : أنت من جيل شعراء التسعينات في فلسطين، كيف أثرت الفترة التي نشأت بها على نصك؟ بقوله : أنا ابن الانتفاضة الكبرى، الأم، والانتفاضة الثانية ونحن شهدنا هبوط أوسلو بمظلته الثقيلة علينا.بين المواجهة والقبول تأرجحت أرواح جيلنا، لكننا ما زلنا نمسك بالبوصله والقلم والسيف في آن مواصلة الدرب الطويل، نحو فجر البلاد وحريتها المشتهاة. جزء من جيلي انحاز للنص الهامشي وبهرته بعض الكتابات التي أسقطت الوعي المتماusk للنص إن جاز التعبير، وذهبت نحو تجريب أعد لها سلفاً فسقط نصها في اللحظة.صارت مقولات مقولبة وجاهزة تغزو النص الجديد تحت مسميات حدثية باهتة ومفبركة.

والبعض بات يخجل من الأدب الملتزم، وأرى أنه ما دام هناك أرض محتلة لا بد أن يبقى الأدب محافظاً على قدرته على المواجهة مع الحفاظ على التجديد الفني والتطوير الجمالي،

كل الشعراء الكبار عبر التاريخ عبروا عن قضايا أمتهم وهمومها، نحتاج هذه الرؤيا التي تنهض على أسس واعية بذاتها وتاريخها وتفتح أبواب التجريب باقتدار⁽³⁷⁾.

أمّا عند الروائيين فتصور الروائية سحر خليفة المشهد المأساوي لنتائج أوصلو في روايتها (الميراث) بقولها: (قالوا أوصلو ، قلنا : أمين . فلماذا إذن ما زالوا هناك فوق الهضبة في أعالي التل وحول السهل ويزحفون على الوادي وقرى الجيران ؟ أهذا هو الحكم ؟ أهذا ما بشرت به الثورة وناصر أيام العز ؟)⁽³⁸⁾

ويرى الروائي أحمد رفيق عوض أن أدب ما بعد أوصلو مختلف تماما عن الأدب ما قبل أوصلو، حيث أصبح أكثر هامشية وفردية، ومعبراً عن الهوية الذاتية، واختفت صورة المقاوم والرموز الوطنية، وأصبح البطل مهموماً مهزوماً ومنشطراً على نفسه . وهو أدب مختلف كلياً وتختفي فيه المقاومة، وتكثر فيه الأسئلة، والشك والهواجس، أدب متمركز حول الفرد وهمومه ويتجنب الاشتباك⁽³⁹⁾.

كما يؤكد زكي العيلة أن مشروع أوصلو لم يُغيّر شيئاً على الأرض، فما زال الاحتلال قائماً وإن صوّر بعضهم أن الاحتلال قد زال وأن أدب المقاومة لم يعد مناسباً. وإن ثقافة المقاومة لا تنتهي، وأن الأديب الحقيقي لن يضل سواء كتب تحت هدير (الأباتشي) وقصف الدبابات، أو كتب عبر هدير موج البحر، ما دام يستضيء براية أولئك الناس البسطاء الذين ما زالوا يحفظون الحلم مبشرين بالمستقبل رغم الثقيل والتهجير، والهدم من دون أن تتبدل لغتهم أو تنكسر حروفهم.⁽⁴⁰⁾

وفي قصة زكي العيلة "بحر رمادي غويط"، يتعالق العنوان مع جسد النص، ليتضح للقارئ مدى ضبابية هذا الاتفاق وعدم وضوح شروطه، وينتهي إلى عدم إمكانية القبول به والإلتزام ببنوده، فاعتمد في سرد أحداث القصة على التصوير ليكون القارئ هو الحاكم الأخير، فأحداث القصة تجسد مشهد نزول العلم الإسرائيلي عن قبة المجلس التشريعي ورفع العلم الفلسطيني يوم رجوع السلطة⁽⁴¹⁾.

ويصور الروائي ذلك المشهد بقوله : (عربة أوصلو تنفث دخانها .. يعبر صفيها .. تصك عجالاتها أرضية المحطة .. ترسو قرب مقر الحاكم العسكري لمدينة غزة.. بنياية المجلس

التشريعي سابقاً، مساحات للهدير .. هتافات .. قبضات .. الكل ينتظرون زوال العلم الإسرائيلي لحظة تأخرت سبعاً وعشرين سنة .. نداءات .. أصوات متواثبة .. صبية، كهول صبايا .. نجوم خافتة .. بحر غويط.. (42).

ويشير القاص (عمر حمش) إلى أن أوصلو كانت تحدياً للمبدعين الذين وجدوا أنفسهم يحاربون على جبهتين: جبهة الاحتلال وجبهة الفساد الجديدة. أوصلو خلقت لدينا طبقة جديدة من المقربين من السلطة ، طبقة من الكبار الذين استبدوا بمقاليد الحياة ، وتركوا غزوة تحت وطأة البطالة، وأزمة السكن، والذهول (43).

لقد اهتم الكتاب بعد مرحلة أوصلو في نتاجهم القصصي بفضاءات معينة دون غيرها بغية التدليل عما يعتل في عقولهم ويقض مضاجعهم، ومن هذه الفضاءات: فضاء السجن، والمخيم، والبيت، والحاجز العسكري، كما أن بعض الفضاءات لم تلق عناية كتاب ما بعد أوصلو مثل: أماكن اللهو والترف، والملاهي والمطاعم وما شابه، لعل الكتاب أرادوا أن يقولوا أن الفلسطيني لم يجد متسعاً ليلهو ويلعب وأن الشعب الفلسطيني يعاني ويلات الاحتلال ولا يتمتع بشئ مناحي الحياة، مثل بقية الشعوب (44) واتخذ كثير من الشعراء والكتاب موقف المتحفظ على هذه الاتفاقيات وطالبوا بمواصلة النضال ، وعبروا عن رأيهم في عدم جدوى السلام مع الصهيانية ، بل وجدناهم يترجمون هذه المواقف من خلال تجاهل اتفاق أوصلو ، والاستمرار في اتجاه التنوير والتثوير ، وذلك من خلال بعث مشاهد النكبة ، أو النكسة ، أو رصد الأعمال الفدائية وبطولات وتضحيات الشعب الفلسطيني في انتفاضته الأولى .

وعندما تعثرت المفاوضات مع المحتل الصهيوني انضم كثير من الأدباء إلى قافلة أصحاب الاتجاه النضالي كثير من الأدباء إلى قافلة أصحاب الاتجاه النضالي المقاوم ، ليعلنوا من خلال هذا الاتجاه عن تيقنهم بعد التجربة أن أوصلو لن تؤدي إلى السلام والحرية (45).

3/متابعات نقدية :

عابن عادل الأسطة تجارب إبداعية لعدد من الأدباء المقيمين والعائدين، وقارن بين نصوصهم التي كتبوها يوم كانت الثورة قوية بنصوصهم التي أنجزوها بعد مدريد وأوصلو. ويضيف الأسطة: وقد اخترت لأكثر هذه المقالات العنوان التالي: أدب السلم.. أدب الخيبة،

فقد لاحظت أن هناك نغمة خيبة شبه خفية تطبع نصوصهم التي أنجزوها منذ عودتهم. ولقد تتبعنا روائيين هم إميل حبيبي ويحيى يخلف وسحر خليفة، وتوقفت أمام نغمة التشاؤم التي طغت عليها، متمثلة في نهاياتها التي تلخص كل شيء، كأنما صدق من قال إن الأشياء بخواتيمها. ولقد تتبعنا نصوص محمود درويش وأحمد دحبور وسميح القاسم ومريد البرغوثي وعلي الخليلي وآخرين، واختصرت ما خلصت إليه بعد قراءة نصوصهم في العناوين التالية: محمود درويش: تفاؤل البدايات وخبية النهايات، أحمد دحبور: وصلت حيفا ولم أعد إليها، سميح القاسم: الأرض مراوغة والحريز كاسد، مريد البرغوثي: من إعادة التكوين بعد الهزيمة إلى جنازتنا الجماعية، علي الخليلي: من انبثاق الظهيرة إلى وحل الوجود المستحيل. ولم تكن الكلمات من اختراعي، فقد قرأتها في نصوصهم القديمة والجديدة. يقول الجزء الأول من كل عنوان ما قاله الشاعر في شبابه، ويقول الجزء الثاني ما قاله الشاعر بعد مدريد وأوسلو.⁽⁴⁶⁾

ترصد قصص "سما واحة" للكاتبة ليانة بدر حياة العائدين إلى الوطن إثر اتفاقات أوسلو، ومعاناتهم المزدوجة: غربتهم في وطنهم الذي اغتربوا عنه فحنوا إليه وهم في المنفى، وحين عادوا رأوه ببقية وطن، وغربتهم الناجمة عن الاحتلال نفسه، وهنا يتشابهون مع بقية أبناء الوطن الذين ظلوا يعانون منذ وقع الوطن تحت الاحتلال. لقد تحول الوطن، منذ العام 2000، وتحديدا في 28 أيلول، إلى ساحة حرب وإلى جزر منفصلة عن بعضها البعض. انفجارات وغارات واجتياحات وحصار ومنع تجول وحواجز وقتل وسجن وقتلى وجرحى، وأشك أن قصة من قصص المجموعة خلت من هذه المفردات.⁽⁴⁷⁾

وتصف الكاتبة ليانة بدر مشهدا مأساويا اعتادته الذاكرة الفلسطينية حينما اجتاحت دبابات الاحتلال مدن الضفة الغربية وقراها ومخيماتها بعد اتفاقية أوسلو في قولها: "نمضي بخطى حثيثة مخلفين وراءنا رفعا مؤقتا لمنع التجول بعد شهر ونصف من الاحتباس بين الدبابات والمصفحات التي اجتاحت المدينة، تستمتع قيعان أقدامنا بلمس الأرض الصلبة رغم الحصى الكثير المتناثر فوقها، وترتخي ملامح وجوهنا التي تصلبت من الإصغاء القهري لثرثرة مقدمي البرامج السياسية في محطات التلفزة الفضائية الذين يناقشون أوضاعنا بطريقة لا تختلف عن برامج التسلية"⁽⁴⁸⁾

كان الوطن في الحلم (قبل أوصلو) فسيحاً بغير حدود ، جميلاً بغير تشوهات، آمناً بغير خوف . فإذا الوطن في الواقع (بعد أوصلو) محصور ، أو محاصر في مدينة أو قرية أو حارة أحيانا ، وإذا العسكر في كل منعطف، يجثمون على صدر الأرض والإنسان ، ويترصدون الخطى والأحلام ، ويحرمون على أبناء الوطن الواحد حق اللقاء ⁽⁴⁹⁾ .

وتتفق رؤية علي الخليلي مع رؤية الأسطة في أن الأدب الفلسطيني أصبح غارقاً في عتمة الخيبة والكآبة والخسارة. ويقارن الخليلي بين الأدب الفلسطيني بعد النكبة والنكسة والأدب بعد "أوصلو" فقد كان من المتوقع ان يعكس الأدب الفلسطيني الذي نشأ بعد هزيمة الخامس من حزيران سنة 1967 أجواء هذه الهزيمة ، وثقلها الساحق على معنى أن تُسمي فلسطين كلها، بعد نكبة العام 1948 جسداً مذبوهاً تحت جنازير دبابات إسرائيل. إلا أن هذا الأدب المذبوخ بذاته أيضاً ما كاد أن يصحو من ضغوط هذا الثقل الهائل، كي يلتفت الى تلمس طريقه في "التعبير" عنه، أو عن صحوته، حتى وجد نفسه يصعد الى طريق مغاير تماماً، هو طريق المقاومة التي تفجرت سريعاً ضد الاحتلال.

أي أن أدبنا، وهو يقفز عن الهزيمة دون أن "يعبر" عنها، ودون أن "يحترق" فيها، ليخرج من رماده إلى المقاومة، مثل طائر الفينيق المتجدد بعد كل موت، كان يقفز في الواقع إلى رومانسية تفاؤلية سيطرت عليه، ودفعت به لى أجواء انتصار وهي . وكان أدباً تفاؤلياً بالمطلق، حتى انتهى إلى "اتفاق سياسي"، وسلطة وطنية في قبضة ذلك الاتفاق، لا تملك من الوطن سوى أن تكون في بعض زنازين محتليه ومغتصبه، تحت الحصار والاذلال وفقدان الحيلة. وكانت النهاية أدباً مغايراً للبداية، في شكله ومضمونه. ويتساءل الخليلي: هل يمكن القول إن الأدب الفلسطيني الآن، هو "أدب الضحية" التي لا تخاف الهزيمة والخسارة، طالما هي واعية لهذه الهزيمة في معنى عدم التسليم لها، وفي بلاغة التعبير عنها بشجاعة وصدق، ومدركة للخسارة، فلا تفقد معها قدرتها على مواصلة التعبير ⁽⁵⁰⁾

ويقف إحسان الديك على عتبة عنوان قصيدة سميح القاسم (كلمة الفقيد في مهرجان تأبينه) ، فيعاين التركيب النحوي للعنوان ، ويشير إلى التعالق الدلالي الذي تختزله لفظة " الفقيد " في العنوان ومضمون القصيدة في قوله : تحتل لفظة " الفقيد " صدارة الصدارة ، فهي بؤرة العنوان كما هي بؤرة القصيدة ، فالكلمة التي ستقال أضيفت إليه ، ومهرجان

التأبين له ، ومن أجله .ومن الفقيد تنطلق القصيدة كالدوائر تتسع حوله وتدور عليه . ويضيف الباحث في سياق ربطه بين الشاعر أو الفقيد و"هاملت " أن كلمة " الفقيد " على الرغم من تعريفها بأل فإنها تنفتح في دلالتها على الشاعر نفسه وعلى هاملت ، وعلى الإنسان الفلسطيني والإنسان المقهور في كل مكان . وعلى الرغم من أن لفظة " الفقيد " في العنوان تدل في ظاهرها على التكريم والعرفان إلا أنها تحمل في باطنها معنى الهزء والسخرية ، فهي ترتبط بالتهريج ، ولها صلة بالهزج والمرج . وقد يرمز المهرجان الوارد في عنوان القصيدة إلى المؤتمرات والاحتفالات التي تُحاك فيها المؤامرات ضد الشعب الفلسطيني مثل مدريد وأوسلو (51) .

ويذهب المتوكل طه إلى أن القصيدة الفلسطينية – بشكل عام – توجهت إلى ما يشبه جلد الذات، وكأن ذلك تكفير عن الذنب أو الإحساس العظيم بالندم، جلد الذات أو تجلياتها الذي بدأه درويش انتقل بسرعة كالعدوى إلى قصائد كثيرة كتبها فلسطينيون في مناطق متعددة، وذلك تردداً لصرخة درويش في ديوان أحد عشر كوكبا وخصوصاً في قصيدة "أنا واحد من ملوك النهاية" حيث يقول :

.. سترفع قشتالة

تاجها فوق منذنة الله، أسمع خشخشة للمفاتيح في

باب تاريخنا الذهبي، وداعاً لتاريخنا، هل أنا

من سيغلق باب السماء الأخير، أنا زفرة العربي الأخيرة

وعلى الرغم من الرعب في المقارنة بين تسليم غرناطة ومجرد التفاوض مع "إسرائيل"، فإن الشاعر كان أحد العارفين باتفاق أوسلو وقد تابع المفاوضات، حسب ما يعلمه الجميع، حيث كان الشاعر عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأحد رموزها (52)

وبعد اتفاق أوصلو تخلصت القصيدة من انصياعها للسياسي أو الجمعي، وصارت أكثر ذاتية أو فردية، ولهذا تميزت هذه القصيدة بما يلي:

1. انفتاحها على الأسئلة الكبيرة واستيعابها السجلات العقيدية والفلسفية المختلفة.
2. بروز قضايا وأمور لم تكن من قبل، كالحديث عن الفساد والخراب والانحراف.
3. التميز بروح النقد والاحتجاج.
4. الإشارة إلى ضياع الحلم وانكسار النموذج.
5. وبهذا ظهرت قصيدة مختلفة كلياً تتحدث عن جلد الذات والقسوة عليها وحتى الإشارة إلى الهزيمة.

وعليه، فإن «الآخر» الذي كان مرفوضاً على الإطلاق بداية القرن الماضي أصبح في بداية الألفية الثالثة ملتبساً - على أهون الفروض وأبسطها -، وقد تم ذلك من جهتين: الجهة الأولى: تشقق "الأنا" وتبخيسها ذاتها، أما الجهة الثانية: فقد كان هناك ارتباك واضطراب واختلاف في التعامل مع "الآخر" والنظر إليه، والذي صار يراوح بين منزلتين: النقيض أو الشريك⁽⁵³⁾.

ويصور عدد من الروايات بعد عام (1994) حرقه الفشل وطعم الخيبة. فقد نشر أحمد حرب روايته "بقايا" (1996)، وفيها يكتب بصراحة عن فشل الثورة . و"مقامات العشاق والتجار" (1997) التي يصور فيها المجتمع الفلسطيني الجديد بعد أوصلو واضطرابه وعدم تواؤمه مع المعطيات. ونشر يحيى يخلف رواية "نهر يستحم في البحيرة" التي نشرها (1997) ليرسم صورة الآخر الذي لا يمكن التصالح معه - يحيى يخلف من الكتاب الذين عادوا حسب اتفاق أوصلو العام (1994)، وهو يشغل مراكز عليا في السلطة، ولكنه في هذه الرواية ينكر أن يكون هناك اتفاق مع المحتل. ورواية سحر خليفة "الميراث"، حيث انتقدت بشدة اتفاق أوصلو، وكذلك عزت الغزاوي في رواية "الخطوات"، انتقد بشدة ارتقاء الحركة الوطنية الفلسطينية في أحضان عدوها⁽⁵⁴⁾.

لقد شهد الأدب الفلسطيني بعد أوسلو حالة من الارتداد الزمني في المضمون ، فقد عاد عدد من الكتاب - بعد اليأس من المفاوضات حول تنفيذ اتفاقيات أوسلو- إلى أصل المسألة ، مثلما فعل زكي العيلة مثلاً في قصته " زمن الغياب " وعبدالله تايه في روايته " قمر في بيت دراس " التي استرجع فيها أحداث النكبة والخروج من قريته.⁽⁵⁵⁾

وأكد الروائيون على ظاهرة التذبذب والتردد في بعض الشخصيات الفلسطينية ، كجزء من صور الازدواجية التي عانى منها الفلسطيني في فلسطين 48 ، وخاصة بعد خيبة أمل المثقفين من اتفاقية أوسلو ، فعبر الروائيون عن شخصية الفلسطيني المتردد فينتقل من تيار إلى نقيضه ، وحذروا من هذه الظاهرة فهي تشكل خطراً على المجتمع الفلسطيني ، لأنها تتيح المجال لحدوث الوقيعة ، واستغلال العدو لذلك . تعرض الروائي " سهيل كيوان " في روايته " المفقود رقم 2000 " لهذه الظاهرة ، من خلال بطل روايته " سبع بن علوان "⁽⁵⁶⁾ وبعد اتفاقية أوسلو وتداعياتها ، شعر المثقف الفلسطيني بخيبة أمل ، وأن أحلام اخوته في الشتات بالعودة ، قد تداعت وتحطمت . فازدادت روح النقد لديه ، سواء أكان نقدا لذاته أو نقدا للأنظمة العربية . وصورت مسألة الهوية التي يعاني منها الفلسطيني في فلسطين 48 بوضوح.⁽⁵⁷⁾

***-خاتمة:**

من خلال عرض صور أوسلو ومفارقة العودة إلى الوطن(العودة الناقصة) في نماذج من الأدب الفلسطيني المعاصر-شعرا ونثرا ونقدا- يتبين بوضوح أنّ شرخا عميقا قد أصاب الحلم الفلسطيني بالعودة إلى الوطن بعد أن تكشف للعالم زيف الاتفاق مع العدو ، فظهرت تمثيلات الرفض والخيبة والأسى بعد محاولات لتقبل الأحلام والوعود التي ضمتها بنود السلام المزعوم، والتي مازادت الفلسطينيين إلا إصرارا على الصمود والمقاومة بمختلف الأشكال، و النتيجة أن الوعي زاد وأنّ أدب ما بعد أوسلو اختلف تماما عن الأدب ما قبل أوسلو ، وجوهره أن لا سلام مع من داس موثيق السلام.

***-الهوامش:**

- (1) سعيد إدوارد، الثقافة والإمبرالية . ترجمة كمال أبو ديب . ط1 ، دار الآداب ، بيروت ، 1997 ، ص12.
- (2) من محاضرة (أن تكون مثقفاً فلسطينياً بعد أوسلو) قُدمت في «بيت الأدب» في أوسلو، ضمن مؤتمر نظمته «لجنة فلسطين» النرويجية، لمناسبة مرور 40 سنة على تأسيسها. 2009/12/11.
- (3) نبيل أبو علي، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، ط1 ، القدس ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1999 ، ص 3.
- (4) المصري هاني ، وكالة نياً الإخبارية المستقلة . 2013/10/3 <http://www.naba.ps>
- (5) طه المتوكل، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني . ط1 ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، رام الله ، 2005 .
- (6) علي هيثم الحاج ، محمود درويش وطن في قصيدة . <http://www.arabicnadwah.com>
- (7) حوار مع محمود درويش . مجلة الكرمل الجديد ، ع3-4 ، ربيع ، صيف 2012 ، ص 43 .
(الحوار المنشور في المجلة مقتطفات من مقابلة متلفزة خاصة أجراها في رام الله السياسي والإعلامي الفلسطيني نبيل عمرو مع الشاعر محمود درويش في أواخر العام . 2003 شارك في المقابلة إلياس خوري ومرسيل خليفة من بيروت ، وممدوح عدوان من دمشق ، وغسان زقطان ، وحسن خضر من رام الله).
- (8) مقابلة مع محمود درويش في مركز خليل السكاكيني في رام الله منشورة ضمن كتاب (شاعر الأوديسا الفلسطينية محمود درويش في مرآة الإعلام الإسرائيلي . إعداد : انطوان شلحت منشورات مدار ، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ، رام الله ، فلسطين ، 2008 ، ص 46 ، 47 .
- (9) ناصر أمجد ، في الطريق إلى إيثاكا. مجلة الدوحة . ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية . ع 72 ، أكتوبر 2013 .
- (10) دحبور أحمد ، الديوان (المقدمة) دار العودة ، بيروت ، 1983 ، ص22 .
- (11) المرجع نفسه. ص 217.
- (12) حوار مع الشاعر أجراه راشد عيسى . جريدة السفير ، عدد 11275 ، 22 \ 4 2009
- (13) المرجع نفسه.
- (14) دحبور أحمد : هنا وهناك – هل كان لي – ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، 1997 ص110
- (15) المرجع نفسه. ص90.
- (16) حوار مع الشاعر أجراه راشد عيسى . جريدة السفير ، عدد 11275 ، 22 \ 4 2009
- (17) دحبور أحمد : هنا وهناك ص94.
- (18) جريدة الأسبوع الأدبي العدد 984 تاريخ 2005/12/3

- (19) حوار أجراه نضال بشارة ، جهة الشعر 2005 <http://www.jehat.com/Jehaat/ar/Ghareeb/2005>
- (20) دحبور أحمد : هنا وهناك ، ص 110
- (21) محاميد مسلم، ديوان (نشيد... وآخر) . ط 1 ، مطبعة الصراط ، أم الفحم ، فلسطين ، 2009 ، ص 78.
- (22) يخلف يحيى ، نهر يستحم في بحيرة . ط 1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، رام الله ، فلسطين . ص 80.
- (23) حطيني يوسف ، العودة في الشعر الفلسطيني. www.paldf.net
- (24) الخطيب يوسف، الأعمال الكاملة . (امنع الخمرة عني) ، ج 3، دار فلسطين للثقافة والإعلام والفنون ، دمشق ، بمساندة : الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين ، فلسطين ، رام الله ، الطبعة الأولى ، 2011 ج 3 ، ص 224 .
- (25) المرجع نفسه ، ص 257 .
- (26) المرجع نفسه ، ص 261 .
- (27) درويش محمود، في حضرة الغياب . ط 1 ، رياض الريس للكتب والنشر ، 2006 ، ص 142.
- (28) الأسطة عادل، مقال (حماس " ومحمود درويش) صحيفة الأيام 2013 /9/1 .
- (29) درويش محمود ، لماذا تركت الحصان وحيدا. بيروت 1995. ص 158.
- (30) صالحة محمد حسين محمود ، اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو (ماجستير) . إشراف نبيل أبو علي ، الجامعة الإسلامية ، 2009 ، ص 98 .
- (31) العسولي عبد الكريم، ديوان النار والحجر مكتبة النور ، خانيونس ، 2001 ص 21، 22.
- (32) صالحة محمد حسين محمود ، اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو ، ص 107.
- (33) ججوح خضر محمد، ديوان صهيل الروح ، مركز العلم والثقافة ، النصيرات ، الطبعة الأولى ، 1997 ، ص 101 ، 100.
- (34) حوار مع الشاعر أجرته أسماء صرصور. فلسطين أون لاين 2011/4/5 [/http://felesteen.ps](http://felesteen.ps)
- (35) عبده وازن صحيفة الحياة 2013/3/12.
- (36) حاور الشاعر عبد الله قنديل بتاريخ 2011/5/7.
- (37) حوار مع الشاعر مراد السوداني . أجرته : سجي العبدلي . صحيفة السياسة 2014/3/3
- (38) خليفة سحر ، رواية الميراث . ط 1 ، دار الآداب ، بيروت ، 1997 ، ص 240.
- (39) حوار مع الروائي أحمد رفيق عوض أجراه أيمن أبو عبيد . موقع ثقافات 2013/11/29 . [/http://www.thaqafat.com](http://www.thaqafat.com)
- (40) حاوره عادل محمود . صحيفة العرب اليوم ، الأردن 2005/10/9.

- (41) أكرم نجوان محمد ، وإبراهيم أبو شرخ ، القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو ، دراسة سيميائية . (ماجستير) إشراف : نبيل أبو علي ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2012 ، ص25 .
- (42) العيلة زكي ، بحر رمادي غويط . منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، غزة، 2000، ص60.
- (43) أبو عون فايز ، الروائيون في غزة . مجلة فلسطين العدد 45 - الأربعاء 15 لث 2014 - السنة الرابعة.
- (44) أكرم نجوان محمد وإبراهيم أبو شرخ : القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو دراسة سيميائية ، ص70.
- (45) صالحة محمد حسين محمود ، اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو(ماجستير) . إشراف : نبيل أبو علي ، الجامعة الإسلامية ، 2009 ، ص 21 / نقلا عن نبيل أبو علي : اتجاهات القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة . الفلسطينية ، 2005 ، ص69 .
- (46) الأسطة عادل ،ليانة بدر : سماء واحدة وخيبة العائد (الأدباء العائدون والخبية). أعمال مؤتمر) الأدب الفلسطيني بعد أوسلو) ، جامعة الخليل، فلسطين ، 8-9/12/2010 ، إعداد : د حسام التميمي ، دهاني بطاط ، 2011 ، ص140.
- (47) الأسطة، عادل :ليانة بدر : سماء واحدة وخيبة العائد (الأدباء العائدون والخبية). ص141
- (48) بدر ليانة : سماء واحدة . مجلة الكرمل . ع 83 ، 2005 ، ص211.
- (49) الحوراني عبد الله، التطبيع الثقافي وأثره في الصراع العربي الصهيوني. سلسلة دراسات سياسية(2) منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق غزة فبراير 199 ص26
- (50) الخليلي علي ، أبعاديات زلزلة النقد في اكتشاف أدب الضحية صحيفة الأيام الفلسطينية. 2005/5/23.
- (51) الديك إحسان، رمزية القناع في شعر سميح القاسم ،مجلة جامعة الأزهر (غزة) م، 13، ع1، ، 2011.
- (52) طه المتوكل ، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني من الوضوح إلى الالتباس. مجلة نزوى . ع 45 ، 2009/7/20 ، ص194 .
- (53) المرجع نفسه ص124.
- (54) المرجع نفسه . ، ص124 ، 125 .
- (55) أبو علي نبيل ، المشهد النقدي مقال(ضمن كتاب : مقاربات نقدية حول أدب عبد الله تايه . إعداد : عثمان خالد أبو جحجوح . ط 1 ، منشورات دار الزاهرة وبيت الشعر ، فلسطين ، 2002 ، ص2.

- 56) سهيل كيوان ، المفقود رقم 2000 ، مؤسسة الأسوار ، عكا ، 2000 ، ص 100.
- 57) الخطيب جهينة ، تطور الرواية العربية في فلسطين . (1948-2012) . ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2012 ، ص107.

*-قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو علي نبيل ، المشهد النقدي مقال (ضمن كتاب : مقاربات نقدية حول أدب عبد الله تايه . إعداد : عثمان خالد أبو جحجوح . ط 1 ، منشورات دار الزهرة وبيت الشعر ، فلسطين ، 2002 .
2. أبو عون فايز ، الروائيون في غزة . مجلة فلسطين العدد 45 - الأرباء 15 ك 2 2014 - السنة الرابعة.
3. الأسطة عادل ، ليانة بدر : سماء واحدة وخيبة العائد (الأدباء العائدون والخبية). أعمال مؤتمر (الأدب الفلسطيني بعد أوسلو) ، جامعة الخليل ، فلسطين ، 8- 2010/12/9 ، إعداد : حسام التميمي ، هاني بطاط ، 2011 .
4. أكرم نجوان محمد ، وإبراهيم أبو شرح ، القصة القصيرة في فلسطين بعد اتفاقية أوسلو ، دراسة سيميائية . (ماجستير) إشراف : نبيل أبو علي ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2012 .
5. بدر ، ليانة ، سماء واحدة ، مجلة الكرمل . ع 83 ، 2005 .
6. جحجوح خضر محمد ، ديوان صهيل الروح ، مركز العلم والثقافة ، النصيرات ، الطبعة الأولى 1997 .
7. حطيني يوسف ، العودة في الشعر الفلسطيني. www.paldf.net
8. الحوراني عبد الله ، التطبيع الثقافي وأثره في الصراع العربي الصهيوني. سلسلة دراسات سياسية (2) منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق غزة فبراير .

9. الخطيب جهينة ، تطور الرواية العربية في فلسطين . (1948-2012) . ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2012.
10. الخطيب يوسف، الأعمال الكاملة . (امنع الخمرة عني) ، ج3، دار فلسطين للثقافة والإعلام والفنون ، دمشق ، بمساندة : الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين ، فلسطين ، رام الله ، الطبعة الأولى ، 2011 ج 3 .
11. خليفة سحر ، رواية الميراث . ط1 ، دار الآداب ، بيروت ، 1997 .
12. الخليلي علي ، أبجديات زلزلة النقد في اكتشاف أدب الضحية صحيفة الأيام الفلسطينية. 2005/5/23.
13. دحبور أحمد ،الديوان (المقدمة) دار العودة ، بيروت ، 1983.
14. دحبور أحمد ،هنا وهناك – هل كان لي – ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، 1997 .
15. درويش محمود ، لماذا تركت الحصان وحيدا. بيروت 1995.
16. درويش محمود، في حضرة الغياب . ط1 ، رياض الريس للكتب والنشر ، 2006 .
17. الديك إحسان، رمزية القناع في شعر سميح القاسم ، مجلة جامعة الأزهر (غزة) م، 13، ع1، 2011.
18. سعيد إدوارد، الثقافة والإمبرالية . ترجمة كمال أبو ديب . ط1 ، دار الآداب ، بيروت ، 1997 .
19. سهيل كيوان ، المفقود رقم 2000 ، مؤسسة الأسوار ، عكا ، 2000 .
20. صالحه محمد حسين محمود ، اتجاهات الشعر الفلسطيني بعد أوسلو ماجستير . إشراف نبيل أبو علي ، الجامعة الإسلامية ، 2009.
21. طه المتوكل، صورة الآخر في الشعر الفلسطيني . ط1 ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، رام الله ، 2005 .
22. طه ، المتوكل : الآخر في الشعر الفلسطيني.. من الوضوح إلى الالتباس. مجلة نزوى . ع 45 ، 2009/7/20
23. العسولي عبد الكريم، ديوان النار والحجر مكتبة النور ، خانيونس ، 2001 .
24. علي هيثم الحاج ، محمود درويش وطن في قصيدة .

25. العيلة زكي، بحر رمادي غويط. منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة، 2000.
26. محاميد مسلم، ديوان (نشيد... وآخر). ط 1، مطبعة الصراط، أم الفحم، فلسطين، 2009.
27. المصري هاني، وكالة نبأ الإخبارية المستقلة. 2013/10/3 <http://www.naba.ps>
28. ناصر أمجد، في الطريق إلى إيثاكا. مجلة الدوحة. ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية. ع 72، أوكتوبر 2013.
29. نبيل أبو علي، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية، ط 1، القدس، اتحاد الكتاب الفلسطينيين 1999.
30. يخلف يحيى، نهر يستحم في بحيرة. ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين.